

الليتورجيا الالهية رؤية تاريخية
Η Θεία λειτουργία
الاب الدكتور اثناسيوس اسحق حنين

أولاً:

تمهيد

يقول القديس يوحنا ذهبى الفم (أننا فى حاجة شديدة الى ان نتعلم كل الامور المختصة بعجائب الاسرار الكنسية وماهى ومتى ظهرت ولماذا سلمت لنا وما هو نفعها) وهناك اتفاق عام بين الباحثين من اللاهوتيين والليتورجيين اى علماء الليتورجيا أولاً على ان الشرق يملك تراثاً ليتورجيا غنيا ومتراكما وثانياً يحتاج هذا التراث للاستمتاع به بشكل اعمق ومؤثر فى حياة الرعاة والرعية يحتاج الى فحص علمى لمعرفة المتى والين واللمذا والفائدة من واء النصوص على حد تعبير ذهبى الفم ولان الشرقيين احياناً يفهمون من كلمة (الامور الروحية) الامور الهلامية التى لا تاريخ لها ولا شهادة ميلاد وهذا يجعلهم أقرب الى ثقافة التنزيل من لاهوت وفكر التجسد وثقافة الفكر الماشى على الارض وسط هموم واشجان وامال الناس متعلمين وبسطاء اى تجسد الكلمة فى لحم ودم تاريخ الناس وواقعهم وهمومهم وامالهم وثالثاً يوجد فقر شديد فى كليات اللاهوت الشرقية فى المتخصصين فى الدراسات الليتورجية هذا اذا استثنينا بعض المحاولات العلمية الجادة فى لبنان الحبيب ومعظم الكتابات تقتصر على التأملات الروحانية فى كيفية الاستفادة من (القداسات) بلا اى بعد تاريخى اى هى نوع من (الفاسد فود) الروحى وليس الطعام المعد جيداً بتعب ودموع وعلم كبير ونلفت النظر الى ان التاريخ المسيحى الاول يستعمل تعبير الليتورجية اى عمل الشعب فى شركة المسيح خبز الحياة وكلمة قداس هى كلمة سرىانية وهى لا تعبر عن روح الشركة بين المؤمنين مثل كلمة ليتورجيا (لاؤس اى شعب وارجو اى عمل) التى استعملها الالباء وربما فضل الشرقيون المسيحيون استعمال الكلمة السريانية بعد الانفصال بين الكنائس الشرقية فى 451 م اى بعد مجمع خلقيدونية وبدايات الاحساس بالقومية والهوية الدينية واللغوية عند السريان والارمن والاقباط والاحباش

ثانياً: ليتورجية المسيح ومسيح الليتورجية

حينما تكلم المسيح لأول مرة مع البشر عن ميستريو الافخارستيا الالهية اطلق على نفسه لقب(خبز الحياة) الذى نزل من السماء لكى يقدم الحياة للعالم كما ذكر يوحنا الحبيب (أنا هو خبز الحياة أباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا ..هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الانسان ولا يموت أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الابد والخبز الذى أنا أعطي هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم)يو 6 : 48 : 51 .

فالمسيح هو خبز الحياة الذى نزل من السماء

Ὁ ἄρτος τῆς ζωῆς ὁ καταβάς

بقوة الروح القدس ولقد نزل يوم البشارة فى داخل احشاء العذراء الفائقة البركات وصارت العذراء بمثابة الارض الطيبة والصالحة والمباركة التى حملت خبز الحياة ونحن نحيا فى الليتورجيا الالهية حقيقة نزول المسيح وحضوره فى داخل الكنيسة وفى العالم من خلالها وذلك لان الليتورجيا هى حضور المسيح فى وسطنا (ها نذا أنا معكم كل الايام والى انقضاء الدهر) متى 28: 20 وعمانوئيل الهنا فى وسطنا الان ومادامت الليتورجيا هى المسيح معنا (عمانوئيل) فهى تعد فى الواقع حضور اللوغوس معنا وحضورنا فى اللوغوس اى نعمة ورسالة بتعبير بولس(رومية 1: 1) اى بركة ودراسة بتعبير الالباء فالالباء الكبار حاملون اللاهوت (الثيؤفورى)حينما تكلموا عن المسيح فهم تكلموا عن المسيح الذى اختبروه وعاشوه واحبوه كما عاشوه فى الليتورجيا السماوية (الذى كان من البدء الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته ايدينا من جهة كلمة الحياة فان الحياة أظهرت ونشهد ونحبركم بالحياة الابدية) 1يو 1: 1- 2 وهذا الكلام ليس كلاما مرسلا وروحيا فقط بل هو خبرة عينية عاشها تلاميذ المسيح وتركوها للاجيال وكل محاولات اليوم لتفسير هذه الامور السماوية لابد من ان تنطلق من العمل الدؤوب لتوصيل هذه الخبرة وهذا السمع وهذه المشاهدة وتلك الرؤية ولمس المسيح الى واقع حياة الانسان المعاصر ومهما شعر الذى يكتب ويفسر بعدم استحقاقه وتفاهته الا انه يظل فى امان لاهوتى كبير كلما لجأ الى من سبق وعانوا وذاقوا ولمسوا مجد المسيح فى الليتورجيا اى الالباء الالهيين وهذا هو معنى الدراسة العلمية من النصوص الاصلية لهذه العطايا السماوية كما سلمها الرسل وعاشها القديسون وشرحها الالباء حسب تعبير العظيم أثناسيوس وكما يرجو المسيحيون اليوم ان يعيشوها ولانه ورغم الاوقات الصعبة التى تجوزها البشرية الا انه هناك من يسبر بصمت غور الليتورجيات ويعاين فيها مجد الله الاب فى المسيح بالروح القدس وهناك

قلوب تنبض بحرارة الحب الالهى ويعيشون حضور المسيح على المذبح وما زال يعيش
بيننا نفوس كريمة تعان ملائكة الله تشارك فى الليتورجيا مع شعب الله القديسين
والرعاة الاطهار وهم يعيشون فى بركة ملكوت الله المبارك (مبارك الاتى باسم الرب)
ثالثا :العشاء السرى والافخارستيا فى حياة المسيحيين الاوائل

لقد أسس المسيح سر الافخارستيا الالهية فى اثناء العشاء الفصحى اليهودى ويعد سر
الافخارستيا هو هو عشاء الكنيسة الفصحى فعلى نفس المائدة التى اكل عليها الفصح
اليهودى (ذهب الفصح النمط وجاء الفصح الحقيقى)على حد تعبير ذهبى الفم فى
شرحه لانجيل متى 49 : 379

(καί τό τυπικόν πάσχα υπέγραψε καί τό ἀληθινόν προσέθηκε)

ولقد قدم لنا الانجيليون الثلاثة الازائيون متى (26 : 26- 29) ومرقس (14 : 22
25- 26) ولوقا (22 : 15- 20) وايضا القديس بولس قى رسالته الاولى الى الكورنثيين
(1كو 11 : 23- 26) قدموا لنا وصف دقيق لاول ليتورجيا فى تاريخ المسيحيين والتى
جرت فى علية صهيون (فى الليلة التى أسلم) (بضم الألف) فيها الرب يسوع

Τή νυκτί ἡ παρεδίδото ὁ Κύριος Ἰησοῦς

فبينما كانوا يأكلون عشاء الفصح (أخذ يسوع الخبز وشكر وقسم وأعطى للتلاميذ
وقال :خذوا كلوا هذا هو جسدى ويضيف الانجيلى لوقا (الذى يبذل عنكم اصنعوا هذا
لذكرى) واخذ الكأس وشكر واعطاهم قائلاً اشربوه منه كلكم هذا هو دمي الذى للعهد
الجديد المسفوك عن كثيرين لغفران الخطايا ويضيف بولس (فكلما شربتم اصنعوا هذا
لذكرى) ويقول متى (وأقول لكم انى من الان لا اشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك
اليوم حينما اشربه معكم جديدا فى ملكوت ابى) ونلاحظ ان الليتورجيا مرتبطة ارتباطا
وثيقا بالتسبيح والشكر (ثم سبخوا وخرجوا الى جبل الزيتون) متى 26 : 30
وتعتبر هذه الليتورجيا هى اول ليتورجيا تمت على الارض

السيناكس الليتورجى

Λειτουργική Συνάξις

ان وصف السنالكس الليتورجى اى الاجتماع الليتورجى الاول هو فى نفس الوقت
وصف للحياة الليتورجية فى العصر الرسولى الاول ولقد اعتاد المسيحيون فى العصر
الرسولى وقبل اتمام سر العشاء الافخارستى اعتادوا على عمل مائدة المحبة فعلى مثال
ما قام به المسيح مع تلاميذه كان عشاء الحب الفياض كما انفرد بوصفه التلميذ المحبوب
(أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الاب

اذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم أحبهم الى المنتهى فحين كان العشاء (يو 13 : 1 فبعد الحب وعشاء الحب يصف يوحنا تلميذ الحب العشاء السرى ولقد أقتدى المؤمنون بالمسيح فى كل شئ فكانوا يعملون عشاء المحبة ثم يقومون بعد ذلك بالالتفاف حول مائدة الافخارستيا او المائدة الافخارستية

ورغم صعود المسيح الا انه حاضر فى الرسل والتلاميذ بالروح القدس (أعمال الرسل 1 : 1- 14) فالرسل هم ايقونة المسيح الحية ولقد اعتاد المسيحيون الاوائل ان يعيشوا حضور الرب فى الافخارستيا الالهية ولقد اعطى هذا الاحساس الواقعى بحضور الرب فى الافخارستيا والانتظار الاكيد لمجيئه الثانى القريب أعطى للاجتماعات الافخارستيا وللمسيحيين الاوائل احساسا كبيرا بالفرح الصادق والشركة الاخوية والاثر فى الآخرين (وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة واذ هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب مسبحين الله ولهم نعمة لدى جميع الشعب وكان الرب يضم كل يوم الى الكنيسة الذين يخلصون ..) (اع 2 : 46 وكانت العادة عند المسيحيين الاوائل ان تقام السيناكسيس فى المساء كما يقول سفر الاعمال (وفى اول الاسبوع اذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزا خاطبهم بولس وهو مزعم ان يمضى فى الغد واطال الكلام الى نصف الليل وكانت مصابيح كثيرة فى العلية التى كانوا مجتمعين فيها) (اع 20 : 7-8 ويقول لنا علماء الليتورجيا انه قد تم فى العصر الرسولى فصل مائدة المحبة عن الافخارستيا للأسباب التى ذكرها بولس فى رسالته الى الكورنثيين وهنا يلوم بولس الكورنثيين على ظهور سلوكيات لا تليق بمائدة المحبة (ولكننى اذ أوصى بهذا لست أمدح كونكم تجتمعون ليس للأفضل بل للأردأ لانى أولا حين تجتمعون فى الكنيسة أسمع أن بينكم أنشقاكات , اصدق بعض التصديق) (كو 11 : 17-34- ولقد أدى هذا الروح الدنيوى الغريب عن روح المسيح التى فيها (يسبق كل واحد فيأخذ عشاء نفسه فى الأكل فالواحد يجوع والآخر يسكر أفليس لكم بيوت لتأكلوا فيها وتشربوا ؟ ماذا أقول لكم أم تستهينون بكنيسة الله وتخجلون الذين ليس لهم)) (كو 11 : 22 الى ان استفاض فى الحديث عن مفهوم الاستحقاق فى شركة الافخارستيا والذى يجب على الوعاظ ان يدرسوه جيدا فى كل السياق اللاهوتى والافخارستى والروحى الذى اورده الرسول بولس فى رسالته الى الكورنثيين فهو ليس مفهوم اخلاقى فردى بل لاهوتى كنسى ليتورجى واساسه (ان يميز جسد الرب وان لا يكون بينهم انشقاكات) (كو 11 : 18 اى عدم الخلط بين اجواء السمر والاجتماعيات

والخلافات والشلل والاحزاب التى غالبا ما تسود موائد المحبة ومائدة الرب والكنائس فى
الايام الاخيرة!!!

ثالث: الافخارستيا والقراءات فى العصر الرسولى

حينما قارب القرن الاول على نهايته كانت الافخارستيا تقام بمعزل عن مائدة المحبة
وبداؤ المؤمنون قراءة رسالة من رسائل الالباء الرسل وبعد القراءة كان المؤمنون يقبلون
بعضهم بعضا بقبلة المحبة الحقيقية (وليست القبلة اليهودية) والتى اعتاد الرسول بولس
ان يتكلم عنها فى رسائله (2كو 13 : 12 ورومية 16 : 16) وبعد قبلة المحبة كان القائم
على الليتورجيا يبارك المؤمنين (نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس
مع جميعكم) 2كو 13 : 13 ثم يتبع ذلك الصلوات الافخارستية التى هى كلمات الرب
التأسيسية (خذوا كلوا..... خذوا أشربوا) وبعد كلمات الرب التأسيسية يجي طلب
استدعاء الروح القدس (الابيكليسييس) والاساس وراء طلب الروح القدس هو كلمات
ووعده الرب للتلاميذ (متى جاء الروح المعزى فهو يشهد لى ويذكركم بكل ما قلته لكم هذا
يمجدنى لانه يأخذ مما لى ويعطيكم) يو 15 : 26 و 16 : 14) وبعدها يقسم جسد
المسيح المقدس وبعدها تأتى الشركة فى جسد ودم الرب (1كو 11 : 27- 29) وهكذا
كانت تتم الليتورجيا فى العصر الرسولى

وجاء القرن الثانى لتظهر اول بدايات الليتورجيات وصاحب هذا الظهور اجواء
الاضطهادات كما وصفها يوستينوس الشهيد فى رسالته الى الامبراطور والتقليد
الرسولى لهيبوليتيس الرومانى وتعاليم الالباء الرسل الاثنى عشر ويلاحظ ان نفس الالباء
الذين وضعوا بدايات الليتورجيات يتكلمون عن مساحة من الحرية الشخصية اى العفوية
الروحية فى ممارسة الليتورجيا (فيقدم الشكر بعد القراءات حسب طاقة القائم على
الصلاة)

(Εὐχὰς ὁμοίως (ὅπως ὁ λαός)καὶ εὐχαριστίας ,ὁση δύναμις αὐτῷ
ἀναπέμπει

ويؤكد يوستينوس على نوعية القراءات من الانبياء والشكر كما يريد اى كما يعطيه الروح
والحرية فى الصلاة بقوله

Τοῖς δέ προφήταις ἐπιτρέπεται εὐχαριστεῖν ὅσα θέλουσιν)
وتتميز هذه الفترة بالانفصال التام بين الافخارستيا وموائد المحبة وعبرت الكنيسة من
عصر الرسل وعصر المعلمين الملهمين بالروح واصحاب المواهب الفذة والمعلمين اصحاب
روح النبوة والذين كانوا يتجولون على الكنائس المحلية وانتقلت الكنيسة الى مرحلة الرعاية
الثابتين وصارت الافخارستيا تقام فى الصباح بدلا من المساء وانتشرت عادة استخدام

قبور الشهداء لاقامة الافخارستيا لانهم اول شهود على فعالية الافخارستيا فى اجسدهم
التي لم يرى الكثير منها فسادا وحسب شهادة القديس اكليمنضس الرومانى فقد تم
اضافة تسبيح الثلاث تقديسات الى الليتورجيا وانها قد تم اخذها من سفر اشعياء
الاصحاح السادس والعدد الثالث وفى اليداكى اى تعاليم الالباء الرسل والتي كتبت
حوالى السنة مائة بعد الميلاد نجد اول صلوات ليتورجية (فيجب علينا ان نقدم
التشكرات (الافخارستيا)اولا من اجل الكأس قائلين : نشكرك ايها الاب ابانا من اجل
كرمة داود فتاك لك المجد الى دهر الداهرين وايضا الشكر عن كسر الخبز نشكر يا
ابانا من اجل الحياة والمعرفة التى عرفتنا بها بيسوع فتاك لك المجد الى دهر الداهرين
(Περὶ δὲ τῆς εὐχαριστίας ,οὕτως εὐχαριτήσατε.πρώτον περὶ τοῦ
ποτηρίου.Εὐχαριστούμέν σοί,πάτερ ἡμῶν,ὑπὲρ τῆς ἁγίας ἀμπέλου
Δαβὶδ τοῦ παιδός σου,ἥς ἐγνώρισας ἡμῖν διὰ Ἰησοῦ τοῦ παιδός
σου. Σοὶ ἡ δόξα εἰς τοὺς αἰῶνες .”Ωσπερ ἦν τοῦτο τό κλάσμα
διεσκορπισμένου ἐπάνω τῶν ὀρέων καὶ συναχθέν ἐγένετο ἐν,οὕτω
συναχθήτω σου ἡ ἐκκλησία ἀπὸ τῶν περάτων τῆς γῆς εἰς τὴν σὴν
βασιλείαν.”Οτι σοῦ ἐστὶν ἡ δόξα καὶ ἡ δύναμις διὰ Ἰησοῦ Χριστοῦ
εἰς τοὺς αἰῶνες)

وتشير اليداكى الى عبارات قصيرة تبدو انها كانت عبارة عن حوار ليتورجى بين
الكاهن والشعب مثل(الكاهن :فلتأت النعمة او فليأت المسيح وليمضى هذا العالم
الشعب:أوصنا لدواد اللاهوتى

الكاهن: من هو قديس فليتقدم ومن ليس قديس فليمتنع وليتوب الرب قريب ماران اثا
الشعب :امين)

القديس يوستينوس فى اول دفاع له عام 150 ميلادية يقدم لنا نموذجان لليتورجية فى
عهده فالسيناكسيس الافخارستى يبدأ بقرأت من الاسفار المقدسة من الانبياء او من
الرسل

Τὰ ἀπομνημοεύματα τῶν Ἀποστόλων ἢ τὰ συγγράμματα τῶν
προφητῶν ἀναγινώσκεται)

ويتبع ذلك العظة التى يحث فيها المترأس الصلاة بان يحاكي الشعب هؤلاء القديسين
ويأتى بعد ذلك الصلوات المشتركة ثم قبلة المحبة وتقديم الخبز والخمر وصلوات للقائم

على الليتورجيا ثم يقول الشعب أمين ومن ثم يتم تناول كل مؤمن على حدة ويتم ارسال الاسرار للغائبين على يد الدياكونيين) ويشير يوستينوس الى صلاة الابيكلسيس اى استدعاء الروح القدس والتي يسميها (صلاة اللوغوس) ثم ياتى القديسون اغناطيوس الانطاكى الاسقف الشهيد (رقد عام 113 م) وأيرينيئوس اسقف ليون (140-202) وهم لا يتكلمون عن شكل الليتورجيات بل عن اللاهوت الليتورجى (راجع رسائل اغناطيوس الانطاكى منشورات النور لبنان 1984) ثم يأتى التقليد الرسولى والمكتوب حوالى عام 217 م للقديس هيبوليتيس لنرى ولاول مرة الحوار بين القائم على الليتورجيا (الاسقف او الكاهن) والشعب

“Ιερεύς Ὁ Κύριος μετά πάντων ὑμῶν
Λαός “Μετά τοῦ πνεύματός σου”

Ιερεύς “Ανω ὑμῶν τὰς καρδίας
Λαός “Ἐχωμεν πρὸς τὸν Κύριον
Ἰερεύς Εὐχαριστήσωμεν τῷ Κυρίῳ

Λαός “ Ἀξιον καὶ δίκαιον

وبعد هذا الحوار تبدأ الانافورا (نشرك يا الله لاجل ابنك الحبيب يسوع المسيح والذي ارسلته فى الايام الاخيرة مخلصا لنا وفاديا وومرسلا بارادتك كلمتك الذى صنعت به كل شئ والذي استسلم للالام طوعا اخذ خبزا وقال خذوكلوا هذا هو جسدى المكسور عنكم وايضا الكأس قائلا هذا هو دمي المسفوك عنكم وكلما فعلتم ذلك فافعلوه لذكرى ونحن اذ نذكر موته وقيامته نقدم لك هذا الخبز وهذه الكأس كعلامة شكر ونطلب منك ان ترسل روحك القدوس على ذبيحة كنيستك المقدسة وكل المتناولين القديسن المتحدين برباط الحق وهكذا نجد ان التقليد الرسولى قدوضع لنا العناصر الاساسية لليتورجيا وهى الحوار بين المتقدم والشعب وكلمات المسيح التأسيسية والتذكار واستدعاء الروح القدس

رابعا :الليتورجيات فى القرون الاولى

جاء القرن الرابع وشهدت الكنيسة ظهور الليتورجيات واهمها :

1 -ليتورجية يعقوب اخو الرب

هى ليتورجية رسولية فى اساسياتها مع بعض الاضافات اللاحقة ومن اهم العناصر التى تؤكد اقدميتها القراءات - من العهد القديم والطلبات لاجل المضطهدين والمضطهدين واما الاضافات التى من القرن الرابع فهى (ايها الابن الوحيد) و(الثلاث التقديسات) و(لحن الشاروبييم) ولقد تشكلت ليتورجية الرسول يعقوب فى اورشليم ومن ثم انتشرت

فى العالم ويشهد الكثير من الالباء عن اصالتها مثل القديس كيرلس الاورشليمى والذى يشرحها فى عظته الخامسة للموعوظين بدون ان يشير الى اسم يعقوب اخو الرب
2 -ليتورجية القديس ماركوس

هى ليتورجية اسكندرانية قديمة ظهرت فى مصر وهذ الليتورجية هى قديمة ولقد ظلت مستعملة فى كنيسة مصر حتى القرن الثالث عشر
3 -ليتورجية القديس باسيليوس

ظهرت فى قيصرية كبادوكية ولقد كتبها باسيليوس الكبير حينما كان كاهنا وذلك لان القديس اغريغوريوس اللاهوتى وهو يؤبن باسيليوس ذكر انه قد ترك لنا اعمالا وقوانين وصلوات ولقد انتقلت ليتورجية باسيليوس الى القسطنطينية ومن هناك وصلت الى الاسكندرية والتى كان باسيليوس معروفا فيها ومحبويا منذ زيارته الاديرة هناك
4 -ليتورجية القديس زهبى الفم(354- 407)

وهى المعروفة اليوم فى كنائس الروم الارثوذكس
5 -ليتورجية القديس اكليمنضس

وهذا النص موجود فى كتاب (الاوامر الرسولية) ولقد كتبت فى القرن الرابع فى سوريا وهو يقدم لنا تفاصيل الليتورجيات الانطاكية ولم تستعمل هذه الليتورجية قط فى الكنيسة

فى النهاية يتفق الالباء جميعا على ان الليتورجوس(القائم على الليتورجيا) الاساسى هو المسيح والكاهن حسب تعبير القديس كاسيلاس يقدم لسانه ويديه للمسيح وحينما يسلم الليتورجولوغوس نفسه للمسيح يصير اداة فى يد المسيح ويقف مكان المسيح والكاهن حسب القديس اغريغوريوس اللاهوتى يقف مع الملائكة يقدم التسبيح والتمجيد لله وهو يشارك المسيح فى الليتورجية ولا يحل محله فالمسيح هو رئيس الكهنة وهو الذبيحة والكاهن(راجع الرسالة الى العبرانيين)ويقول (نحن نعرف جيدا من نخدم واين نوجد واين نوجه الناس

(Οίδα τίνας έσμέν λειτουργοί καί πού κείμενοι καί πού πέμποντες)
فالكاهن يوجد على الارض ويتحرك فى السماء وهو يقف بين السماء والارض اى بين الله والناس ولهذا يسمى زهبى الفم الليتورجيا على انها (معجزة الاسرار)

Τό Θαύμα τών μυστηρίων

